الغلو في النبي ﷺ بين التعظيم المشروع والذريعة الموصلة للشرك

محمد بن عبد الله المقدي

الغلو في النبي ﷺ بين التعظيم المشروع والذريعة الموصلة للشرك

ردٌّ على حاتم العوني

السيِّد محمد بن عبد الله المقْدي

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل تعظيمه صلى الله عليه وسلم من تعظيم الله تعالى، ونهى عن الغلو فيه صيانةً لجناب التوحيد، وحمايةً للأمة من مسالك الشرك.

إقتباس

"العوني في خطابه لا يناقش محل النزاع، بل يصنع خصماً من وهم ثم يهاجمه؛ فهو يتهم المخالفين بأنهم "يجففون منابع حب النبي ﷺ" و"ينتقصون من تعظيمه"، مع أن الخلاف ليس في أصل التعظيم بل في الغلو المبتدع. ثم يقيس النبي ﷺ بالكعبة في تشبيه مع الفارق، ويستعمل أسلوب الاستفهام الإنكاري المراوغ (أفيكون نبي التوحيد ذريعة للشرك؟) .

فيُلبس على السامع بأن الإنكار موجّه إلى النبي لا إلى الغلو فيه. وطريقته قائمة على الإطناب الانفعالي وتكرار "حاشاه" ونحوها لتغطية ضعف الاستدلال، وعلى التشنيع العاطفي من قبيل" :ظنوا أنفسهم أغير على التوحيد من رسول الله ."وهكذا صار خطابه أقرب إلى **الخُطبة التحريضية** منه إلى **الحوار العلمي الرصين،** يعتمد على التهييج لا على البرهان، وعلى قلب محل النزاع لا على حسمه."

وهذا ما سنبيّنه في السطور التالية ببيان الفوارق الشرعية، وكشف المغالطات، والرد على القياس الفاسد الذي اعتمده.

فقد أثار الشريف حاتم العوني شبهة خطيرة، خلاصتها: أن التحذير من الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم هو انتقاص من قدره، وأنه لا يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم ذريعةً

للشرك، كما لم تكن الكعبة كذلك. وفي هذا المقال بيان فساد هذه الدعوى، من وجوهٍ شرعيةٍ وعقليةٍ .

أولاً: التعظيم المشروع والتعظيم المبتدع

لا خلاف أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه أصلٌ من أصول الدين، ولكن هذا التعظيم لا بد أن يكون **منضبطاً بالشرع**، وإلا انقلب غلواً محرماً.

- قال ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1]
  فهنا سدّ النبي ﷺ بنفسه باب الغلو، حمايةً للأمة من أن ترفعه فوق مترلته، كما فعل النصارى بعيسى عليه السلام. فلو كان سد الذرائع انتقاصاً، لكان النبي ﷺ أول المنتقصين من نفسه!

ثانياً: التشبيه بالكعبة تشبيه مع الفارق

قاس العوني بين تعظيم النبي ﷺ وتعظيم الكعبة، وزعم أن كلاهما لا يمكن أن يكون ذريعةً للشرك. وهذا قياس فاسد، لوجود الفارق:

- **الكعبة** :تعظيمها قاصر على ما شرعه الله من طواف واستقبال، دون دعاء أو استعانة بها.

- **النبي ﷺ** :الغلو فيه عند كثير من الطوائف بلغ حدَّ **الاستغاثة به، والنذر له، والطواف بقبره،** وهذا عين الشرك الذي نهى الله ورسوله عنه.

فالكعبة رمز للتوحيد لم تُدع قطّ من دون الله، أما الغلاة في النبي ﷺ فقد جعلوا دعاءه واستغاثته ديناً ووسيلة، وهنا مكمن الانحراف.

ثالثاً: قلب للحقائق الشرعية

---

[1] البخاري، كتاب الأنبياء ، باب: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} (٣٢٦١) .

يقول العوني" :*كيف يكون نبي التوحيد ذريعة للشرك؟"*

والجواب: لم نقل إن النبي ﷺ هو الذريعة، بل الغلو فيه هو الذريعة.

- فالنبي ﷺ بريء من شرك الغالين، كما أن المسيح عليه السلام بريء من شرك النصارى.
- لكن الشريعة جاءت **بمنع كل طريق موصل إلى الغلو**، حمايةً لجَناب التوحيد أولاً، ثم حمايةً لجناب الرسول ﷺ من أن يُجعل واسطة باطلة.

رابعاً: مغالطة "أغير على التوحيد من رسول الله"

رمي المخالفين بأنهم "أغير على التوحيد من النبي" مغالطة بيّنة.

فالذي يغلق باب الغلو ليس أغير من النبي ﷺ، وإنما هو متبعٌ لهديه، مطبقٌ لسنته، ممتثلٌ لقوله:«إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» [٢]

فمن التزم بسد الذرائع، فقد غار للتوحيد بما غار به النبي ﷺ، لا من عند نفسه.

خامساً: أين الخلل ؟

١. إن موقف العوني يشبه من يرى الناس يرتعون حول الحمى، فيقول: لا تمنعوهم، فالحمى شريف لا يصلح أن يكون ذريعة! لكنه ينسى أن النبي ﷺ قال: «ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[٣].

٢. هو كمن يقول: "الدواء لا يكون سبباً للمرض"، فنقول: نعم، لكنه قد يُميت إذا أُسيء استعماله، ولذلك وضعت الجرعات والضوابط.

٣. والتحذير من الغلو ليس "تجفيفاً لمنابع المحبة"، بل هو كمنع الابن من شرب السم حفاظاً على حياته، لا حرماناً له من الماء!

---

[٢] رواه الإمام أحمد ٤/ ١٤٧، والنسائي ٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه ابن خزيمة ٤/ ٢٧٤ (٢٨٦٧)، وابن حبان ٩/ ١٨٣ (٣٨٧١)، والحاكم ١/ ٤٦٦، وكذا الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٢٤٥٥)، و"الصحيحة" (١٢٨٣).

[٣] البخاري ،كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢) ، ومسلم ، كتاب البيوع ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٠٧)

سادسا : طريقة العوني في الحوار !

١- **إيهام الخصم بالتهمة قبل النقاش**

العوني يبدأ طرحه بتصوير المخالفين وكأنهم "يجففون منابع حب النبي ﷺ" أو "ينتقصون من تعظيمه"، وهذه تهمة مسبقة تُدخل السامع في حالة انفعال عاطفي قبل أن يبدأ النقاش العلمي.

فالأسلوب هنا ليس بحثًا عن الحق، وإنما صناعة خصم مشوَّه ثم الانتصار عليه.

٢- **القفز على محل النزاع**

المسألة ليست: "هل نعظم النبي ﷺ أو لا؟" فالكل متفق على وجوب تعظيمه.

وإنما النزاع: "هل يجوز الغلو في النبي ﷺ بما يفضي إلى الشرك؟"

لكن العوني يتجاوز هذا، ويعرض المسألة وكأن المخالفين ينكرون التعظيم ذاته، وهذا تلبيس.

٣- **إسقاط الفوارق بين الأشياء**

قياسه النبي ﷺ بالكعبة من أوضح أمثلته: تجاهل الفوارق الشرعية والواقعية بين "تعظيم الكعبة بما شرع" وبين "الغلو في النبي ﷺ بما لم يشرع."

فهو يذيب الفوارق ليُسهل تمرير فكرته، بينما البحث العلمي يقتضي إبراز الفوارق لا طمسها.

٤- **التشنيع بتعبيرات عاطفية**

مثل قوله" :ظنوا أنفسهم أغير على التوحيد من رسول الله" ، هذه جملة مشحونة عاطفيًا تُراد للإسكات لا للإقناع. فهي لا تناقش الدليل، بل تضرب في النية.

٥- **الإطناب الانفعالي**

خطابه مليء بتكرار العبارات" :*حاشاه صلى الله عليه وسلم*"، "*كيف يكون؟* ..."!هذا الأسلوب يُشحن بالانفعال ليُغطي ضعف الاستدلال.

فهو أقرب لخطبة تحريضية منه لحوار علمي متزن.

٦- **الاستفهام الإنكاري المراوغ**

كثيرًا ما يستخدم أسلوب" :أفيكون نبي التوحيد ذريعة للشرك؟"!

وهذا السؤال مبني على مغالطة؛ لأنه يغيّر محل النزاع: فالمسألة ليست أن النبي ﷺ بذاته ذريعة، بل أن الغلو فيه قد يكون ذريعة. لكن طريقة عرض السؤال تجبر السامع على الانفعال بدل التفكر.

٧- **الانتقال المفاجئ بين المقدمات والنتائج**

يبدأ بمقدمة صحيحة (النبي ﷺ رسول التوحيد)، ثم يقفز إلى نتيجة خاطئة (إذن لا يمكن أن يكون الغلو فيه ذريعة للشرك). هذه "لَفَّة" خطابية: استغلال حقيقة مسلَّم بها لتمرير نتيجة غير لازمة.

إذن لغة العوني تقوم على:

١- **تهييج العاطفة** أكثر من مخاطبة العقل.

٢- اتهام المخالفين بانتقاص التعظيم.(بناء رجل القش)

٣- **الخلط بين المشروع والمبتدع.**

٤- **التشنيع بدلاً من المناقشة العلمية.**

فطريقته في الحوار أقرب إلى **الخُطبة الدعائية الانفعالية** منها إلى **المناقشة العلمية المحكمة**، وهي طريقة تجذب العامة وتثير الحماس، لكنها لا تصمد أمام التحليل العلمي الرصين.

الخاتمة

ليس في سدّ الذريعة إلى الغلو بالرسول ﷺ أي انتقاص، بل هو عين التعظيم المشروع، وامتثال لأمره صلى الله عليه وسلم، وصيانة لجناب التوحيد.

وأما القياس على الكعبة فقياس مع الفارق، لأنها لم تُدع من دون الله، بخلاف ما جرى في الغلو بالنبي ﷺ عند أهل البدع.

فالحق ما جاء به رسول الله ﷺ: محبة صادقة، وتعظيم مشروع، بلا غلو ولا جفاء.

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ} [آل عمران: ٣١].